التلميذ البليد..!!

هل الديمقراطية هى ان يبقى حزب واحد في مقاعد الحكم عشرات السنين، يجرب سياسات متعارضة ومتناقضة احيانا، فاذا نجح فى حل مشكلة صفق له الجمهور، واذا أخطأ فى علاج اخرى سارعت اليه احزاب المعارضة بالمقترحات وبالحلول، حتى يأخذ منها الحزب ما يناسبه ويصفق له الجمهور من جديد..؟؟

هذا هو معنى الديمقراطية عند الحزب الحاكم وعند كتابه الذين يحاولون فرض هذا المعنى فرضا على الجماهير حتى يبرروا اخطاء حزبهم الحاكم ويلقون بأسباب الفشل علي غيرهم.

ومنذ أيام نشر المحرر البرلمانى لاحدى الصحف القومية الكبرى كلمة فى جريدته يكرر هذا المعني الفاسد للديمقراطية تحت عنوان (البطولة ليست فى الهجوم) قال فيه ان البطولة فى مشاركة الحكومة فى تصحيح مسارها وتقديم الاقتراحات التى تصحح اخطاءها وقال ايضا ان رجال الحكومة بشر وليسوا ملائكة فهم يصيبون ويخطئون.. لا يكفى ان الهجوم لمجرد الهدم او التشكيك او اطلاق صرخات وانما يجب ان يكون الهجوم مصحوبا بأفكار جديدة ورؤى سديدة (تجهلها) الحكومة حتى يأتى الاصلاح شاملا وكاملا..!!

وهذا الكلام الذى كتبه المحرر البرلمانى لجريدة قومية كبرى، يدل على انه يجهل الكثير عن فكرة الديمقراطية، ويجهل اكثر من ذلك دور الحكومة ودور المعارضة فى البلاد الديمقراطية، فالحكم ليس وقفا على حزب واحد، بينما الرأى والمقترحات (البناءة) هى واجب الأحزاب الاخرى، بشرط ان تبقى فى صفوف المعارضة، لا تقترب من مقاعد الحكم، ولا تحاول ان تطبق مبادئها ومقترحاتها بنفسها، وانما تقدمها فقط- على طبق من الفضة- للحزب الحاكم يختار منها ما يناسبه ليرجع الفضل اليه فى تنفيذه، اما ما لا يناسبه فانه يكتفى بأن يصف اصحابه بالرجعية او بالمعارضة لمجرد المعارضة..!!

وصاحبنا المحرر البرلمانى ينسى ان الاحزاب فى الدول الديمقراطية تقوم على مبادىء ولا تقوم على مجرد اجتهادات، فبعضها مثلا يتبنى مبادىء الاقتصاد الحر، بينما يتبنى البعض الآخر فكرة الاقتصاد الموجه، فهل يستجيب الحزب الأول وهو فى مقاعد الحكم لآراء ومقترحات الحزب الآخر وهو فى صفوف المعارضة، ويتخلى عن مبادىء الاقتصاد الحر ليطبق رأيا آخر اقترحته المعارضة..؟؟ واى نوع من الاحزاب يكون هذا الحزب اذا تخلى عن مبادئه لمجرد ان الرأى الآخر قد اعجبه..؟؟

ان احزاب المعارضة ليس من واجبها- ولا من عملها- ان تخاطب الحزب الحاكم، لأن الحزب الحاكم واحزاب المعارضة جميعا توجه حديثها إلى الشعب فى محاولة لإقناعه بأن المبادىء التى تتبناها هى القادرة على حل مشاكله، وعلى ان تحقق له حياة افضل، والشعب وحده هو الذى يختار بملء حريته المبادىء التى يراها محققة لاهدافه وتطلعاته ويكلف الحزب الذى يتبناها بمسئولية الحكم عن طريق صناديق الانتخاب.

فالحديث- فى الانظمة الديمقراطية- موجه للشعب وليس موجها للاحزاب الحاكمة تنتقى منه ما يعجبها، وتعرض عمالا يعجبها، حتى تبقى هى دائما فى مقاعدة الحكم ويبقى الآخرون دائما فى صفوف المعارضة..!!

ولقد شهدت مصر منذ حركة يوليو حتى الآن، حكومات انتقلت بالشعب من سياسات إلى نقيضها، تساندها اجهزة اعلام تبرر كل السياسات، وتمتدح كل التوجهات، وتوجه جميع انواع الاتهامات إلى المعارضين لسياسة الحكومة، مهما كانت قيمة الرأى الذى يبديه هؤلاء المعارضون. الم تنتقل حكومات يوليو بالشعب المصرى من الاقتصاد الحر فى بداية ايامها، إلى (حتمية الحل الاشتراكى) ثم إلى فكرة (الخصخصة) وتشجيع القطاع الخاص فى هذه الايام..؟؟ والاكثر من ذلك ان الذين عارضوا الاشتراكية فى وقت من الاوقات كانوا فى نظر الحكام خونة ومن اعداء الشعب، والذين يعارضون الآن الانفتاح بغير ضوابط، وما ترتب عليه من فساد ومن كساد، هم ايضا فى نظر الحكام معوقون للاصلاح الاقتصادى، ومعارضون لمجرد المعارضة..؟!

لقد تبنت حكومات نظام يوليو كل الفلسفات، وتنقلت بين كل المبادىء والاجتهادات، واتهمت معارضيها دائما، وكانت النتيجة هي ما نراه الآن من تراكمات دمرت الاقتصاد الوطنى، وفجرت مشاكل البطالة والاسكان، واشعلت نار غلاء الاسعار، ومع ذلك فان هذه الحكومات- وان اختلفت اسماء وزرائها- مازالت متمسكة بمقاعد الحكم لا تسمح لاحد ان يقترب منها، حتى لو استدعى ذلك تزوير الانتخابات، او تفصيل القوانين، او اتهام المعارضين وتطبيق قوانين الطوارىء..!!

ان الحكومات التى تحتاج إلى مقترحات وحلول تقدمها لها احزاب اخرى هى حكومات فاشلة تستند إلى مبادىء فاسدة واجبها ان تتنحى عن مقاعد الحكم فورا بدلا من اتهام المعارضة لانها لا تقدم اليها- على طبق من فضة الحل الصحيح.

فهل فهم الآن (المحرر البرلماني) معنى دور المعارضة فى البلاد الديمقراطية، ام هو لا يزال يرى ان دور المعارضة هو تقديم (البراشيم) للحزب الحاكم حتى ينجح فى الحكم بمجهود غيره، تماما مثلما يفعل التلميذ البليد داخل لجان الامتحان..؟؟

أحمد طلعت / المحامى